المبحث الثاني

إنشاء جهاز المخابرات

قبل الثورة كنت أعلم أن هناك تنظيم للضباط الأحرار ، وكما قلت لم أنضم لهم ولكنني كنت متعاطف معهم ومرت الأيام ولم أكن أعلم ماذا سيفعل هؤلاء الضباط وسمعت عن قيام الثورة كأي مواطن عادي وبقيت في عملي وفي مكاني أتابع الأمور ككاتب وكضابط بالجيش وبعد عدة شهور من السجال بين عبد الناصر ونجيب وانتهاء الأمر لصالح عبد الناصر أراد أن ينشئ جهاز المخابرات فعين زكريا محيي الدين رئيسًا لهذا الجهاز، وكان هذا الرجل من أكثر الناس خلقًا وديناً وأدبًا فبعث لي وعندما قابلته قال لي «إن الرئيس أبلغنى أن تكون من ضمن الخمسة لإنشاء الجهاز لأنه جهاز يخص كل مناحي الحياة في الدولة، فقلت له أنا لا أصلح لهذا الجهاز.. فقال لي لماذا فقلت بصراحة «أنا بخاف من ربنا» وجهاز المخابرات هذا أنني أجلس مع ناس وبعدين أذهب وأكتب فيهم تقارير وأتسبب في أذى الناس، وأبلغته أننى لا أستطيع وأنا كنت دائمًا أقول «ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به» ويبدو أن هذه الكلمات وافقت ما في نفسه فقال لي «لازم تكون معانا في الجهاز» ، وقبل أن تقرر نذهب في زيارة إلى مبنى الجهاز وعندما ذهبت وجدته قد وضع لوحات تحمل آيات قرآنية وعبر وتخويف من إيذاء الناس وكان منها قوله تعالى «إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» فاسترحت نفسيًا وعدت إليه فقال لي نظرًا لأن لديك سبع مؤهلات عليا ولا يملكها أحد غيرك فأنت تمسك الصحافة.

***

إدارة الصحافة بجهاز المخابرات

وافقت على تولى إدارة الصحافة بجهاز المخابرات وهي الإدارة التي تعني بكل ما ينشر فى صحف العالم وله علاقة بمصر والوطن العربى والشرق الأوسط على العموم ، حيث نقوم بتحليل ما تنشره تلك الصحف وأرشفتها والرد عليها وكنت قد درست الإعلام ودرست شيء فيها يسمى «الحملة النفسية» وبعدها كنت أقابل عبد الناصر باعتبار أنني أعرفه من قبل وفي أحد المرات قال لي «أننا نريد إخراج الإنجليز من مصر .. إحنا عندنا فدائيين يتم تدريبهم وتوجيههم فى جهاز المخابرات بصورة غير مباشرة وبأشكال مختلفة في صورة بياعين أو نجارين أو عمال ويدخلوا المعسكرات ويضعوا القنابل وباقي شغل الفدائيين» فقلت له أنا عندي كتاب عن عمل الفدائيين (هو كتاب كنت قد عملته من فترة) ، وقلت له تفتكر ياريس إن هذا العمل الفدائي العظيم هو الذي سيخرج الإنجليز.. لقد سجن سعد زغلول باشا والنحاس ومحمد فريد ومصطفى كامل وقبض عليهم وكانوا يخرجوا في المظاهرات ويدعموا الفدائيين، ولكن هذا لم يخرج الإنجليز وأن هذه وسيلة لا تنفع الآن بمفردها.. وأرى أن نتركها كما هي ونعمل شيء آخر كويس بأن نعمل حملة نفسية تجعل الإنجليز هم الذين يطلبون الرحيل.

إذاعة موجهة للإنجليز من الصحراء

سألني الرئيس عبد الناصر عن الطريقة التي تجعل الإنجليز يطلبون الرحيل وكنت قد درست في الإعلام تأثير الحملات النفسية على الخسارة أو المكسب في الحروب .. فقلت له لقد وجدت محطة إذاعة في قصر عابدين لم تعمل كان الملك فاروق قد جهزها ووضعها للطوارئ وأنا فكرت أن نأخذ هذه المحطة ونجعلها في استديو في الصحراء، ونذيع باللغة الإنجليزية رسائل موجهة للجنود الإنجليز ووكالات الأنباء سوف ينقل هذا الكلام ونجعل هؤلاء الجنود والضباط هم الذين يضغطون على حكوماتهم لترك مصر أما أن تقاومهم فقط فهم إمبراطورية لديهم عساكر الدنيا والآخرة وقد جربنا المقاومة فقط فلنجرب الطريقة هذه.. وقلت له سوف أختار ثلاثة مذيعين معي وتحت إشرافي ونوجه نداءات للإنجليز نقول لهم

فيها ما فائدة وجودكم وأنتم تموتون في القناة، ونتخذ اتجاه حضاري بأن نوصل إليهم رسالة بأن هذا ضد قرارات الأمم المتحدة عن الاستعمار والأفراد الذين سيموتون بلا هدف.. وعملنا أيضًا مسلسل رومانسي بسيط عن ضابط أمريكي مقيم في لندن ويقيم علاقة مع امرأة زوجها في القنال ، وقمنا بعمل مزيكا وحفلات وأصوات رومانسية لكي نوصل رسالة إلى الإنجليز الموجودين بالقناة أن بقائهم لا جدوى منه وأن زوجاتهم وأسرهم استحوذ عليها الأمريكيين.. فأثنى عبد الناصر على الفكرة فقلت أهم شيء أن لا يعلم أحد أين موقع المحطة إلا أنت وأنا وزكريا محيي الدين حتى الذين يعملون معنا في المخابرات فوافق على ذلك، وبدأت في جمع الفريق.

* وفي أحد الأيام وقبل أن نبدأ في مشروع الإذاعة فوجئت بشاب يدخل مكتبي بالمخابرات اسمه شريف كامل ابن أحمد باشا كامل ويقول والدي إقطاعي وأنا وطني أريد أن أذهب إلى القنال أو أعمل أي حاجة لبلدي فوجدت أن الولد وطني بالفعل وشكله أجنبي وبيتكلم لغات فقررت أن يكون ضمن فريق الإذاعة السرية، واخترت رئيس تحرير «الجازييت» وتم تكوين الفريق وبدأنا نذيع أخبار ومسلسلات، ونقول مثلاً إن المكان الفلاني سيحدث به كذا ولم تكن المقاومة تعلم شيئًا عن هذه المحطة.. واستمر هذا العمل وكان السفير البريطاني يذهب للرئيس ويقول له إن هناك محطة إذاعة بتقول كذا وكذا وكان الرئيس يقول إنه لا يعلم شيئًا عن هذا واستمرت في عملها وكان لها أكبر الأثر إلى أن قرر الإنجليز الجلاء عن مصر عام 1956م، وبعد الجلاء أصدر عبد الناصر قرارًا نشر في النشرة العسكرية للقوات المسلحة «ترقية خاصة» يقول القرار «صودق على ترقية الضابط المذكور أدناه إلى رتبة القائمقام نظير خدمته الممتازة للجيش». وكنت وقتها بكباشى أركان حرب وعينني وقتها مديرًا لمصلحة الاستعلامات والتي كنت قد أنشأتها من قبل وكان قائد الجيش وقتها المشير عبد الحكيم عامر وقد عملوا وقتها استثناء لهذه الترقية وكان أول استثناء من الثورة، وأيضًا تم تعيينى المتحدث الرسمي باسم الثورة قبل العدوان الثلاثى الذى جاء بعد قرار تأميم قناة السويس .